تفريغ

الدرس الثالث

لماذا عقيدة السلف يجب على المسلم اتباعها دون غيرها

لفضيلة الشيخ/د. سعود بن عبدالعزيز الخلف

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا.

أما بعد: فلا زلنا في بيان: لماذا يجب على المسلم أن يعتقد عقيدة السلف ويلتزمها ويعرض عما سواها، وقد بينا في الدروس الماضية في ثلاثة دروس سابقة أن السلف الذين هم الصحابة ومن سار على نهجهم، هؤلاء كلهم قد أثنى الله تعالى على منهجهم وطريقتهم وصححها ورضي عن أهلها، فقال تعالى: **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ}** [التوبة:100].

هذا لا شك تزكية لهم وتصحيح لمنهجهم وبيان أن كلما خالفها فهو باطل، لهذا يقول الله تعالى: **{فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ}** [البقرة:137] فلا معتدي إلا من كان على التزم نهج أصحاب رسول الله ، وكما قال الله : **{وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا}** [النساء:115].

ولا شك أن هذا مع ما فيه من تزكية طريقة رسول الله فهم أعظم المؤمنين وأصدقهم وأبرهم وأتقى المؤمنين مع ما فيه من تزكية طريقتهم ومنهجهم فيه أيضًا الوعيد الشديد لمن خالف ذلك، وأن الأمر ليس متروك للنظر ولا للرأي ولا للاجتهاد، بل كل ذلك منوط

بواجب على كل مسلم، أو ذلك يدل على أن الواجب على كل مسلم أن يلتزم هذا الطريق وإلا فإن الوعيد يلحقه.

مع ما في الطرق الضالة من الشر الذي يعود على الإنسان في دينه ابتداء، وقد يعود عليه أيضًا في دنياه، وقلنا أن المنهج السلفي الذي كان عليه أصحاب الرسول يقوم على دعائم مهمة، وأعظم هذه الدعائم: تصديق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فليس لهم متبوع سوى كلام الله تبارك وتعالى وكلام رسوله ، فهذا المنارة التي يهتدون بها ويلتزمون بدلالاتها.

وقلنا إن أهل الضلالة الذين خرجوا عن هذه القاعدة وعند هذا المسار وعن هذا الخط والذين ذكرهم النبي في أحاديث كثيرة منها: حديث معاوية بن أبي سفيان: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»** ولا شك أن الواحدة هي هذه التي التزمت بمنهج أصحاب الرسول والتزمت بما دعا الله إليه وبما دعا إليه رسوله .

ثم بينا بعد ذلك أن أصحاب الضلالة الذين انحرفوا عن هذا النهج، وهنا الأمر الذي أحببنا بيانه وهو المقابلة بين منهج أصحاب الرسول مقابل ذلك بالمناهج البدائية التي انحرفت عن منهج أصحاب الرسول ، ومن أول المناهج قلنا أن أول منهج انحرف عن الجادة واتخذ طريقا بعيدا إلى النار، واتخذ طريقا بعيدا في الغواية هم الخوارج.

والخوارج كما أشرت من قبل أنهم أول الفرق خروجا، فقد خرجوا في زمن كبار الصحابة، في زمن علي ، بل إن الخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان كان سابقا على ذلك، وهو بذلك الخروج انفتح من الشر أبواب لا يحصي مداها إلى الله ولا يحصي شرها إلى الله.

فكان قتلة عثمان بابا من الشر انفتح على المسلمين، وكان باكورة وظاهر خروجهم المعلن هو الخروج في علي ، وبه تأسس معتقد الخوارج وهو تكفير المسلمين؛ لأن هذا

التكفير لم يكن ظهر في عصـــر عثمان ولم يظهر في الذين خرجوا عليه، وإنما ظهر بعد ذلك، وهؤلاء الذين قاتلوا عليًا كفروه وكفروا عثمان قبله وكفروا عائشـــة وكفروا طلحة والزبير ومعاوية بن أبي سـفيان وعمرو بن العاص، كفروا كل هؤلاء، واسـتقر مذهبهم على ذلك.

وقلنا إن الخوارج فئة من المســـلمين تغلوا في دين الله غلوا شـــديدا، وكل غلوها في مقابل بقية المســـلمين، يعني في الأمور الحكمية والدينية، فهم يكفرون أصـــحاب الكبائر، ومع تكفيرهم لهم هم في الحقيقة يسـتبيحون دماءهم، وهذا هو من أكبر إشـكالات هؤلاء الخوارج أنهم لا يكتفون بالتكفير، بل هم يستبيحون دماء المسلمين أو دماء من يكفرونهم، وهؤلاء الذين يكفرونهم هم جميعهم من المسـلمين ممن عداهم يكفرونه بهذا المذهب أو هذا المنهج الذي هم عليه.

وذكرنا أن هذا المنهج قد اســـتمر من ذلك الزمان إلى أن ظهر في زماننا هذا، وكان أول ظهوره في الحقيقة الذي أسـس الخروج على الحكام وأسـس التكفير وأسـس التحزب الرسمي في أهل السـنة هو حسـن البنا، وإن كان لا أعرف عنه إعلان مبدأ التكفير، ولكن الخروج على الحكام والتحزب ضـــد بقية المســـلمين واعتبار أنهم هم الحزب الذي يمثل الإســـلام وأن من عداهم لا يمثلون الإســـلام، وأن كل من خالف منهجهم هو مخالف للإسلام، هكذا زعم حسن البنا، ونظَّر في ذلك وكتب في ذلك ودعا إلى ذلك بكرة حياته إلى أن قتله ما أسس من المذهب الذي هو في حقيقته مخالف لمنهج أهل السنة.

ولكن دائما –هذه قاعدة مهم جدا– دائما البدعة يغلو أهلها، وقل أن تنحســـر البدعة، وإنما في الحقيقة تغلغل، لهذا ظهرت بعد حســـن البنا المنهج التكفيري في الإخوان المسـلمين، فظهر صـريحا قويا واضـحا جدا في سـيد قطب، وكذلك المودودي الهندي، ثم ظهر ذلك في كلام القرضـــاوي والظواهري وابن لادن وأبو بكر البغدادي وأيضًـــا الجولاني وأبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسـطيني، كل هؤلاء نسـأل الله العافية صـاروا يعلنون هذا المنهج الكفري والتكفيري لمن عداهم.

ذكرت بعض كلام سيد قطب في هذا، وقلت أن هذا لا شك أنه هو منهج الخوارج الذي نعرفه ولا نخطئه، وأنه حين يقول: إن البشـــرية ارتدت إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصـــت عن لا إله إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله إن هذا هو المنهج الخارجي الذي ينادي على نفسه جميع المنهج الخارجي لا يختلف عن كلام نافع بن الأزرق ولا قطري بن الفجاءة ولا غيرهم من كبار الخوارج المتقدمين.

هذا المنهج في الحقيقة أنتج لنا، وكل الباحثين والدارسين والمتأملين للوضع يعلمون أن داعش والنصـــرة وبوكو حرام هذه كلها نتائج ونتاج هذه المبادئ التي نادى بها وقعدها ابتداء حســـن البنا ثم من بعده ســـيد قطب والمودودي ومن ســـار على نهجهم وســـلك طريقهم.

فهذا كله نحن جميعا في هذا الزمان نعيش آثاره ونرى واقع هذا الفكر التكفيري الخطير، ونحن في المملكة قد قاسـينا من هذا الأمر أمورا وأناسًـا من أبنائنا انحرفوا إلى هذا الطريق، وصـــار أحدهم يقتل أباه ويقتل أمه ويقتل خاله وابن عمه على لا شـــيء، بدون أدنى أن يكون هناك مبرر لهذا القتل ســوى إيعاز هؤلاء المجرمين لهؤلاء الســفهاء أن يفعلوا ذلك، ويفجرون في المصـــلين الذين يصـــلون في بيت من بيوت الله يفجرون فيهم يتقربون بذلك إلى الله بالفتك بالمسلمين وهم في الصلاة.

هذا كله في الحقيقة تجاوز لأعظم الحدود الشرعية، فإن أعظم الحدود الشرعية وأعظم الجرائم وأعظم الذنوب هو ســفك دم المســلم بغير وجه حق، لهذا يقول الله تبارك وتعالى: **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِـــبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}** [النساء:93].

لا أعفر ذنبا من الذنوب ورد فيه مثل هذا الوعيد، **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِـــبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}** أين يذهب هؤلاء المجرمون من هذا الوعيد الصريح من كلام الله تعالى.

ويقول النبي: «**لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما**»، يعني أنه لا يزال يقع في الذنب ويتوب ويقع في الذنب ويستغفر ويقبل الله منه حتى يقع في الورطة التي لا مخرج منها وهي أن يقع في الدم الحرام، وهؤلاء فوق أنهم يقتلون المسلمين ظلما وعدوانا فهم في الحقيقة أيضًا يحيلون ذلك إلى الله وإلى دين الله وإلى رسول الله ويجعلون ذلك من القربات إلى الله تعالى.

لا شك أنهم هم الكاذبون وهم الفاجرون في هذا القول، ولا شك أنهم من حطب جهنم، وكما ثبت في الحديث أن الخوارج كلاب النار، وقال النبي : «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» وقال: «**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**» ولم يرد في منهج بدعي منحرف ما ورد من التحديد في الخوارج، فالخوارج هم الفرقة الوحيدة الذين نص عليهم النبي وذكرهم وبين أنهم حطب النار.

فإذا هذا المنهج السلفي يقيك أعظم الانحرافات والوقوع في أعظم الذنوب في الوقت الذي يكون فيه الإنسان مرتاحا ويزعم أنه يتقرب إلى الله ، ولا شك أنهم في ذلك المغرر بهم، لهذا بعض أهل العلم يقول: إن قول الله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}** [الغاشية:2-4] أن هؤلاء هم وجوه أهل البدعة، -نسأل الله العافية- ومنهم الخوارج.

في مقابل الذي ذكرت عن منهج الخوارج فيما يتعلق بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم والتأصيل والجد والحرص على الخروج على الحكام ونقض البيعة وإبطالها وضرب المسلمين بعضهم ببعض مع ذلك يقابل ذلك المنهج السلفي، المنهج الذي فيه الرحمة والإحسان وفيه الانضباط على قواعد الشرع، الذي فيه الحرص على الجماعة والحرص على الإمامة وعلى مصلحة المسلمين وأمنهم والحرص على أن يُحفظ للمسلمين أموالهم ودماءهم وأعراضهم وأمنهم كذلك المجتمعي.

كل ذلك إنما حقيقته في المنهج السلفي فقط دون المناهج الأخرى كلها إلا منهجا يتفق مع السلف في ذلك كما لو أمكن الإشارة إلى ذلك الأشاعرة الذين يستقيمون على

هذا المنهج في هذا الباب، يعني هم مثل السلف في هذا الباب، فإنهم يرون حرمة الدماء وتحريم الخروج على الأئمة ووجوب الصبر عليهم، لا أعرف أحد منهم خالف في هذا الأمر.

من القواعد المهمة جدا في المنهج السلفي في هذا الباب الذي ضل فيه الخوارج أنهم لا يكفرون من نطق بالشهادتين، فكل من شهد أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله فهو المسلم الذي له حق الأخوة الإسلامية كما قال النبي : **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوا»** وفي حديث آخر: **«حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**.

إذًا: من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقد حقن دمه وماله وعرضه وصار أخا للمسلمين لا يجوز الاعتداء عليه إلا بوجه شرعي وليس ذلك اعتداء وإنما من إقامة الحدود أو استخراج الحقوق، وهذا هو المنهج السلفي، فإن أهل السنة لا يكفرون مسلما إلا بالدليل الشرعي، فمن ثبت إسلامه بيقين لا يزال عنه هذا الثبوت إلا بيقين، يعني لا بد أن نفعل استعمال ظاهر المسلم هنا، فمن شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثبت إسلامه ما لم يأت بأمر كفري قاطع صريح واضح، فإنه إذا أتى بالأمر الكفري القاطع الصريح الواضح فهذا يكفر.

ولأهل السنة في هذا ضوابط، حتى لو كان القول الصريح في الكفر فإنهم لا يكفرون إذا لم تتحقق فيه شروط وتنتفي فيه موانع، فإن عدم إرادة الكفر مانع، فإن التأويل مانع، الإكراه، الخطأ مانع؛ لأن التكفير إنما يقع إذا كان القول الكفري متحقق بشروطه الشرعية، فهذه القاعدة الأولى يجب على المسلمين عموما تفعيلها، يجب على عموم المسلمين تفعيلها واعتماد حرمة كل مسلم نطق بالشهادتين ألا يكفر إلا بدليل شرعي قاطع صريح واضح.

وألا يكفر حتى يضبط هذا الأمر بالضوابط الشرعية السلفية التي قررها أهل العلم في ذلك، ثم بعد نفي التكفير عنه، أو حتى لو وقع في الكفر فإنه لا يجوز لأحد أن يقيم عليه الحد ولا أن يقتله ولا أن يمارس هذا الحق معه لأن هذا حق الولاة، حق الدولة هي التي تقيم الحدود على الناس وتأخذ الحقوق منهم وتقتص للمظلوم من الظالم؛ لأن النبي يقول: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة»** فإذا فعل المسلم واحدة من هذه فإنه يجوز قتله ولكن هذا يعود إلى ولي الأمر؛ لأن هذه من حقوق ولاة الأمر وإلا انفلت الحبل وضرب الناس بعضهم بعضا، وفتك الناس ببعضهم ولو بالتهمة، ولكن هذا يعود في الحقيقة حتى لو وقع مسلم في الكفر فإنه لا يجوز إقامة الحد عليه وأخذ الحق منه إلا من قبل الدولة والقاضي الشرعي ويحكم بقتله بضوابطه الشرعية؛ لأنه حتى لو كفر الإنسان فإنه يستتاب من الكفر ثلاثا، حتى إذا أبى أن يرجع فتلك الساعة يجوز للحاكم ويحكم عليه بالقتل.

والأمر الآخر وهو أمر مهم جدا وميزة من مميزات عقيدة السلف وهي تحريم الخروج على الحكام ولو جاروا، يعني أنه لا يجوز تكفير المسلم، والحاكم المسلم مثله مثل غيره من المسلمين لا يجوز تكفيره إلا بدليل صريح واضح تقوم به عليه الحجة، والحكام كما لا يخفى منهم الجائر ومنهم العادل، والذي عليه أهل السنة تحريم الخروج عليه وإن كان جائرا.

والواجب الصبر عليه وعدم الخروج، بل وتحريم الخروج؛ لأن الأدلة الشرعية تدل على هذا، كما في حديث عبادة بن الصامت وهو في صحيح مسلم، يقول: **«بايعنا رسول الله ρ فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»**.

يعني أن الكفر البواح الظاهر الذي لا يختلف فيه أحد، فهذا في الحقيقة هو الذي يجيز الخروج، ولكن يشترط أهل العلم القدرة في حالة كفر الحاكم كفرا بواحا، فإن أهل

العلم يشترطون أن يكون المسلمين لديهم القدرة على الخروج عليه، ونحن نعلم أن في هذا الزمان وقعت أحداث خطيرة بسبب الخروج، فإذا سمعنا كلام النبي وانتبهنا لتحذيراته وحققنا منهج السلف، لو فعلنا ذلك لسلمنا وسلم الناس منا وسلمت للمسلمين أموالهم وأعراضهم ودماءهم في أماكن كثيرة من بلاد المسلمين.

ولكن –نسأل الله العافية– بعض المسلمين تجاوز بسبب الأحزاب الخارجية الحدود فوقع الشر، مع صراحة الأحاديث، وهذه الأحاديث هي العمدة عند أهل السنة في الموقف من الحاكم إذا جار، وقد حذرنا النبي من ذلك كما في حديث أبي هريرة أنه قال: **«من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات: مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمية يغضب لعصبة ويقاتل لعصبة فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بذي عهد عهده فليس مني»**.

وأهل المدينة في ومن يزيد بن معاوية لما تولى الخلافة أبوا ذلك، وهذا خطأ كبير منهم، وأعلنوا رفض خلافة يزيد بن معاوية، فجاء عبد الله بن عمر إلى أمير من أمراء الحرة وهو عبد الله بن المطيع العدوي، فلما جاء عبد الله بن عمر قال عبد الله بن مطيع اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال ابن عمر إني لم آتك لأجلس، أتيت لأحدثك حديثا سمعت رسول الله يقول: **«من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**، يعني على ميتة أهل الجاهلية اذلين لا يخضعون لطاعة ولا يقرون بولاية.

وقد أعطانا النبي الدواء الناجع للموقف من الحاكم إذا رأيت منه ما تكره، إذا رأيت منه ما تكره هذا الدين العظيم قد أرشدنا إلى الموقف الصحيح، فعن ابن عباس يقول: قال رسول الله : **«من كره من أميره شيئا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية»**.

فإذًا هذا الأمر وهذه النصوص الصريحة قد تجاوزها الخوارج وقفزوا عليها وتعدوها، ووقعوا في أعظم الحرمات وهي دم المسلم، النبي يوم الحج الأكبر قال لأصحابه وللمسلمين

وقال مبلغا : «**في أي يوم نحن وفي أي بلد نحن؟ فقالوا: نحن في البلد الحرام وفي اليوم الحرام، قال : إن دماءكم وأموالكم وأعراضـــكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت**».

انظر كيف شـــفقته ورحمته وحصـــره وبيانه وانظر تجاوز هؤلاء المجرمين من أفراخ الإخوان ونتاج منهج الإخوان من الدواعش والقاعدة وبوكو حرام والنصرة والشيعة الفاسدة التي أهون ما عليها دم المسلم، وصاروا يركبون -نسأل الله العافية- يركبهم كل من أراد أن يجعلهم مطية لمصالحه لأنهم لا عقول ولا دين ولا رحمة، لا عقول ولا دين ولا رحمة، ولذلك يركبهم كل من أراد أن يســـتخدمهم مطية لأغراضـــه كما فعل الروافض في جماعتهم، استعملوهم مطية إلى مقاصدهم، وقد يكونوا استعملوا الخوارج أيضًا مطية إلى مقاصدهم؛ لأن الخارجي لا عقل ولا دين ولا رحمة. ولا حد للحرمات يقف عنده.

وإلا يأتون إلى المســـلمين في مســـاجدهم فيفجرونها، ويأتون إلى نســـاء المســـلمين فيسـبوهن ويقولون هؤلاء سـبايا -نسـأل الله اللطف والمعافاة، ما أفجر أهل البدع وأشـد خطرهم على أهل الحق- ومع ذلك يجب على المسـلم أن يلتزم عقيدة السـلف ويعلم أنها هي النجـاة من هـذه الظلمـات؛ لأن من أعظم الظلم وأعظم البغي أن يكون منهجـك يدعوك إلى الظلم والطغيان والاعتداء على إخوانك المسلمين.

أقول هذا المنهج منهج السـلف الذي هو حرمة الخروج على ولاة الأمور وتحريم دماء المسـلمين والموقف أيضًـا من الخوارج واعتبارهم منهج ومذهب وفرقة سـوء هذا الذي عليه أهل السنة.

يقول الآجري رحمه الله: لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرســـوله وإن صـــلوا وصـــاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، نعم ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلـك بنـافع لهم، لأنهم قوم يتـأولون القرآن على ما يهوون ويموهون على المسلمين.

في هذا روى البخاري عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول: إن الخوارج شـر الفرق؛ لأنهم جاءوا على الآيات التي نزلت في الكفار فجعلوها على المسـلمين، يعني إذا جاءت آية من الوعيد التي يتوعد الله الكفار قالوا هذه نطبقها على المسلمين -نسأل الله اللطف والمعافاة.

هذا المنهج ليس في الحقيقة إلا منهج الخوارج الذي هو منهج متعدي لمنهج أهل السـنة، ولما كان أهل السـنة ملتزمين بالحق قائمين به داعين إليه أدركوا حقيقة المنهج الخارجي وحذروا منه، لهذا يقول ابن عباس وقد ذكر له الخوارج واجتهادهم وصلاتهم قال: ليس هم بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم على ضلالة، وابن عباس كما لا يخفى كان مع علي وهو من أوائل من ناظروا الخوارج، فإنهم لما خرجوا على علي وانحازوا إلى النهروان جاءهم ابن عباس وناظرهم فيما ينقمون على علي ، ورجع منهم طائفة مع ابن عباس ، وهو لما رأى في وجوههم أثر العبادة وقوتها ولكن نسأل الله العافية- أهل ضلالة.

لهذا قال: ليس هم بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم على ضلالة -نسأل الله اللطف والمعافاة- لأن الأصل هو الاستقامة على الدين المنزل، ثم كل مخالفة لدين الله هي في حقيقتها مؤدية إلى شر، كما سيتبين بالنسبة لأهل البدع كلهم، لأنه يقابل الوقوع في البدعة ترك السنة، يقابل الوقوع في البدعة الاعتداء على الحدود والحرمات الشرعية.

فإذًا هذه أمور يجب أن ندركها ونتحققها وألا نغتر بذلك، وإن كان أحدهم يبدو متدينا أو ملتزما أو حريصا على السنن أو ما إلى ذلك هذا كله لا قيمة له إذا كان على مذهب الخوارج.

ونقول: إن الإخوان المسلمين في هذا الزمان هم صورة من قعدة الخوارج الذين لا يقاتلون، وهم الذين دفعوا بالدواعش والقاعدة وبوكو حرام والنصرة، هم الذين أظهروهم، وهم الذين قاموا على قواعد الإخوان.

يقول مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري رحمه الله صاحب كتاب الشريعة: فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَى اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً

وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْتَرَّ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا بِطُولِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا بِدَوَامِ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ.

ويقول الحسن البصري رحمه الله تعالى أيام يزيد بن أبي سفرة، ويزيد كان من أمراء المسلمين وقوادهم، ولكنه خرج على يزيد بن عبد الملك، فجاء الناس للحسن البصري رحمه الله قالوا له: ما ترى في مسألة يزيد؟ قال: فأمرهم أن يلزموا بيوتهم ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيوكلوا إليه، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط، وصدق رحمه الله تعالى، ثم تلا قول الله تعالى: **{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُون}** [الأعراف:137].

فإذا هذا هو المنهج السلفي الذي يجب على جميع المسلمين وهو منهج رحمة ومنهج جماعة وحفظ الحقوق وحفظ الحرمات وحفظ الدماء، لأن ذلك هو منهج القرآن، منهج السنة، هو منهج أصحاب الرسول وليس منهجا قائما على الهوى والبدعة، بل يجب على جميع المسلمين إذا أرادوا السلامة لأنفسهم في دينهم دنياهم يجب عليهم أن يستقيموا على منهج السلف ليسلموا من شرور البدع، فإن البدع لها شرور ولها ظلمة، ولها –تفتح بابا من تسلط الشيطان على أهلها فينقلهم من بدعة إلى بدعة ومن بدعة دون غيرها إلى بدعة أكبر، وقد يدخلهم في بدعة الكفر أو في بدعة كفرية.

ونحن في هذا الزمان قد رأينا الآثار الخطيرة للخوارج وخروجهم على الحكام وما وقع في بلدان المسلمين التي ما زالت في غب هذه الدعوات الفاسدة وهذه المواقف الفاسدة، عندنا هذه سورية لها قرابة العشر سنوات، قتل من أهلها ما لا يعلم عدده إلا الله وهُجر أكثر أهلها أهل السنة واستبيحت دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وهُجروا لا يلوون على شيء إلا بسبب عدم الانضباط على منهج أهل السنة في الصبر على الحكام؛ لأن الحاكم

في الحقيقة لا يعدو أن يكون من البشر وأمره بيد الله وقلبه بيد الله، وهو من الناس، فالناس إذا صبروا لا يلبث أن يزيل الله تبارك وتعالى ويستبدل حال الناس من شر إلى خير.

ولكنهم إذا قاموا وتجاوزوا الحدود الشرعية كما يقول الحسن البصري رحمه الله: يوكلوا إلى السيف، فما جاءوا بيوم خير قط، والأمثلة في التاريخ كثير في الحقيقة، لكننا نحن اليوم عشـــنا هذا في الســـنوات الأخيرة فيما سمي بالربيع العربي وهو في الحقيقة ليس ربيعا وإنما حقيقته خريف الشر، خريف من الشر –نسأل الله العافية– وشر عظيم أصاب المسلمين بسبب هذه الطغمة الفاسدة في كثير من الأحوال يركبوا الموجة الإخوان المسلمين ومن كان على شاكلتهم من الدواعش وغيرهم.

وانظر المســـلمين في ليبيا منذ قاموا على حاكمهم ماذا حل بهم، وانظرهم في اليمن ماذا حل بهم، وانظرهم قبل ذلك في الصـومال ماذا حل بهم، ما أمنت كل تلك البلاد ولا ارتاحت، ولا زالت نسأل الله العافية– قطعت فيها السبل وانتهكت فيها الأعراض وذهبت فيها الأموال وتسلط عليها أهل الشر.

أليس لنا في هذا عبرة وعظة، من يحذر من ذلك هم الســـلف الذين هم على منهج الرسـول ، وعلى منهج أصـحابه الذي يبين تحريم الخروج ويمنع من ذلك، فتسـلط في هذه البلدان أهل الشر على الناس وصار الناس يقتل بعضهم بعضا، وأقرب ما يكون يمكن أن نشبه هذا بحال المسلمين لما قاموا على الحجاج بن يوسف زمن ما يسمى في التاريخ بفتنة الفقهاء التي حمل كبرها محمد بن عبد الرحمن بن الأشـــعث الذي خرج على الحجاج بن يوسف وعلى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

فخرج معه أناس من أهل العلم ومنهم الشعبي بسبب ظلم الحجاج واعتدائه وما كان يذكر عنه من الطغيان، ولكنهم اندحروا وصـــار الأمر عاد عليهم بأعظم الشـــر، حتى أن محمد بن عبد الرحمن بن الأشـــعث هذا الذي كان يريد الخلافة آخر أمره ذهب إلى رتبيل ملك الصين ولجأ إليه ثم سلمه ملك الصين للحجاج فقتل نفسه هذا محمد بن عبد الرحمن ألقى بنفسه من شاهق.

المهم في ذلك أن الحجاج بن يوسف استدعى عامر الشعبي رحمه الله وهو من كبار التابعين استدعاه وكام قد خرج على الحجاج في ذلك الوقت ولكنه رجع عن ذلك وأناب وتاب، فدعاه الحجاج بن يوسف فقال له: كيف وجدتنا ووجدت نفسك أيام الفتنة؟ فانظر ماذا قال، وهذا حال المسلمين الذين خرجوا على حكامهم في هذا الزمان.

يقول الشعبي رحمه الله: أصلح الله الأمير، اكتحلت والله بعدك السهر، يعني ما عاد يأتيني النوم، واستوعرت الجناب، يعني أن جميع أي جهة أتقلب عليها فهي وعرة، واستحلست الخوف وفقدت صالح الإخوان، هذا واقع في الحقيقة يعبر عن حال المسلمين الآن الذين خرجوا على حكامهم في بلدانهم، الذين غرهم الإخوان ومن كان على شاكلتهم، حتى صار حالهم مثل هذا وأزيد –نسأل الله العافية.

ويقول أعشى همدان وهو ممن خرج على الحجاج يشكو حاله يقول: نزوا يشكون البغي من أمرائهم وكانوا هم أبغى البغاة وأعندا، يعني أن هؤلاء الذين خرجوا هم البغاة في الحقيقة وهم المجرمون وهم الذين يتحقق من وراء فعلهم أعظم الشر وإلا لو صبروا فإن فرج الله قريب وإن الشر الذي يحدثه الحاكم الظالم بفقد هذا الحاكم الظالم يحدث من الشر أعظم بكيفية لا يمكن أن يقارن بالشر الذي كان يفعله فيما لو فقده الناس أو تصارعوا معه –نسأل الله اللطف والمعافاة.

أقول: إن نجاة المسلمين في دينهم ودنياهم، في سلامة أموالهم وأعراضهم ودمائهم، في سلامة حياتهم وضمان بإذن الله تعالى مستقبلهم هو في الاستقامة على نهج السلف؛ لأنه نهج موصول بكتاب الله ، الكتاب الذي أنزله الله رحمة، والذين أنزله هدى ونور، والذي قال: ما جعل عليكم في الدين من حرج، رفع الله به الحرج عن الأمة وشرع لهم به كما قال : «**بعثت بالحنيفية السمحة**» ويريدها الخوارج والإخوان ومن كان على شاكلتهم دينا ظالما باغيا ليس له هم إلا الحكم والمال والسيطرة، والقفز على الحدود الشرعية لتحقيق المآرب الشخصية والحزبية،–نسأل الله اللطف والمعافاة.

وقس على الذي قلت هذا كل ما تراه من هؤلاء الأحزاب، فوالله لا يريدون إلا الدنيا ولا يريدون إلا الحكم ولا يريدون إلا تحقيق أهوائهم في هذا الأمر، والله ما يريدون الإسلام، ولا يريدون الدين، وإنما يتخذون الدين مطية لمقاصدهم وأهدافهم، وابحث في الأمر وتحقق فستجد أن الأمر كما قلت لك؛ لأننا على جادة ولله الحمد بينة واضحة كما قال : **«تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»**.

فلذلك أقول: إذا أراد المسلمون لأنفسهم تحقيق الحياة الطيبة فعليهم بالتزام عقيدة السلف التي هي تطبيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سلسلة تفريغ دروس

فضيلة الشيخ/د. سعود بن عبدالعزيز الخلف

حفظه الله ووفقه